مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

اختلاف الأمة رحمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

"طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية"؛ هكذا كان يقول الشيخ بهاء الدين النقشبندي -قدس الله سره-، وكان يردد هذه المقولة المباركة في كل مجلس. نحن أيضاً نرددها اقتداءً به. لقد ظلت قلوبنا معلقة بتلك الديار المباركة؛ فهي موطنٌ للعديد من الأولياء والعلماء. الحمد لله، نحن نسير على طريقتهم الجميلة تلك أيضاً.

.

بالطبع، كانت هناك اختلافات بينهم؛ فقد تتباين طرق تفكيرهم أو تفسيرهم -أي شرحهم- لبعض المسائل. لهذا قال نبينا الكريم ﷺ "اختلافُ أمَّتي رَحمةٌ"؛ فمن رحمة الله بالأمة أن يتبنى العلماء وجهات نظر مختلفة ويطرحوا آراءً متنوعة حول قضايا معينة. هناك المذاهب الأربعة، ولكل منها خصائص فريدة تميزه عن غيره. إن المنطقة التي نسميها اليوم "أوزبكستان" كانت تُعرف سابقاً باسم "بخارى". لقد تجزأت بخارى إلى أجزاء، لكن الحقيقة هي أن المنطقة بأسرها تُعد بخارى. لقد خرج منها آلاف العلماء، أمثال الإمام البخاري وأبي حفص، كما واصل الأولياء والمشايخ خدمة الدين عبر ذلك الطريق المبارك.

.

في وقتنا الحاضر، يحاول بعض ذوي النوايا السيئة إثارة الفتنة من خلال استغلال هذه الاختلافات العلمية، مُدّعين أن "فلاناً كان عدواً لفلان" أو "أن فلاناً كان صديقاً لفلان". مع ذلك، والحمد لله، فإن اختلاف التفسيرات بين هذه المذاهب جاء تحديداً ليحقق اليسر والتسهيل على الناس في أمور دينهم. كما بيّن نبينا الكريم ﷺ، فإن الله عز وجل جعل هذه الاختلافات مصدراً لليسر والرحمة. إن الطريق الذي ساروا عليه هو بلا شك طريق الحق. في كل أمرٍ حكمةٌ بالغة. يُقال أحياناً إن أحدهم نُفي أو أُرسل إلى مكان آخر بسبب خلافات، "كان السبب كذا أو كذا"، ولكن تلك الاختلافات لم تكن السبب الحقيقي. السبب الحقيقي يكمن في حكمة الله ﷻ ومشيئته، حيث أراد لهذه الأحداث أن تفضي إلى الخير وتكون عبرة للبشر.

.

على سبيل المثال، كان في طاجيكستان وليٌّ صالح يُدعى "الله يار" - وهو شاعر إسلامي عظيم وأحد أعلام الأدب التركي - فانقلب عليه حاكم ذلك الزمان ونفاه إلى أخطر جبل في المنطقة، وهو جبل كان يعج بالأفاعي السامة. كان شعر "الله يار" ذائع الصيت، شبيهاً بشعر "يونس إمري" في بلادنا. عندما وصل ذلك الرجل الصالح إلى الجبل، غادرت كل الأفاعي المكان وهاجرت إلى مناطق أخرى إجلالاً له. ففي حضرة مثل هؤلاء الأشخاص الصالحين، حتى الحيوانات تُبدي الاحترام. هذه مجرد أمثلة قليلة على الحكمة الإلهية، هناك الآلاف، بل الملايين، من هذه الحِكَم.

.

لذلك، يجب علينا دائماً تقدير واحترام أهل البيت، الصحابة، المشايخ والعلماء. الحمد لله، يقوم الناس اليوم بترميم الأضرحة والمواقع المقدسة أينما وجدوها، باذلين في ذلك قصارى جهدهم؛ فيعملون على تنظيف وتنظيم محيطها وتحويلها إلى أماكن جميلة، ويأتي الناس لزيارتها مُبدين بالغ التوقير لتلك الشخصيات المباركة. ومن يُبْدِ الاحترام، ينل الاحترام. نسأل الله ﷻ أن يديم علينا مشاعر الاحترام والمحبة والتوقير لهؤلاء المباركين، وأن يعيننا جميعاً، إن شاء الله. الله ﷻ يحفظنا من الوقوع في الفتنة. ففي هذه الأيام، يثير الناس فتناً عظيمة بقولهم "كان هذا العالِم كذا، وكان الإمام البخاري كذا، وكان الآخر كذا". وحتى إن لم تكن هذه الظاهرة شائعة في أماكن أخرى، فإن الشيطان يسعى بالتأكيد هنا - في منطقتنا من العالم الإسلامي- لبذر بذور الفتنة والحط من قدر هؤلاء المباركين؛ علماً بأن تلك الشخصيات العظيمة كانت من المجتهدين، والمجتهد هو من يبذل جهده بالاجتهاد في المسائل الدينية. إن من يجتهد ليس مثلي ومثلك؛ فهو يمتلك معرفةً حقيقيةً بالقرآن، الحديث وسائر العلوم المرتبطة بهما، ويُصدر فتواه بناءً على هذه المعرفة لا على هواه الشخصي. لهذا السبب يقول نبينا الكريم ﷺ في شأن المجتهدين: "إذا اجتهد المرء فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد". إذاً، حتى لو كان قرار المجتهد غير صائب، فإنه ينال أجراً.

.

مولانا الشيخ محمد عادل الرباني

لذلك، يجب علينا توخي الحذر الشديد وألا نقع فريسةً لمثل هذه الفتن. لقد وصلتنا الأحاديث والعلوم كافةً عن طريق أولئك العلماء المسلمين الأجلاء؛ لذلك، يجب ألا نسمح لأي شكٍ بشأنهم أن يتسلل إلى قلوبنا. الله ﷻ يحفظنا من فتن هذا الزمان. الله ﷻ يهدي من ضلَّ عن الطريق الصحيح. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
22 أيلول 2026/ 11 ربيع الآخر 1448
صلاة الفجر – زاوية أكبابا، اسطنبول